بلاغة التعبير القرآني في فواصل الآي
(دراسة وصفية تحليلية لبعض آيات العلم والجهل)

The Eloquence of Quranic Expression in Study of Some Verses the Ends of Verses (A Descriptive Analytical on Knowledge and Ignorance)

10.35781/1637-000-130-001

د. سمية طه علي عبد الله الجعفري*

*أستاذ البلاغة والنقد المساعد

جامعة الأندلس- الجمهورية اليمنية

ملخص البحث

تحقق الفاصلة القرآنية جرسًا خاصًّا، ووقعًا موسيقيًا عاليًا، وهي ليست كالقافية في الشعر تقاس بالتفعيلة والأوزان، بل هي طليقة من كل قيد، وألفاظها بمعزل عن كل تعقيد، وهي تابعة للمعاني، ومرتبطة بها داخل السياق القرآني، لذا فالفاصلة القرآنية لم تأتِ لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وإنما جاءت لغرض معنوي يحتمه السياق، وتقتضيه الحكمة.

ويتناول هذا البحث بلاغة التعبير القرآني في بعض فواصل الآي التي وردت فيها لفظتا العلم والجهل، وذلك من حيث: (الاختلاف في فواصل الآي، التشابه في فواصل الآي، التغير في الفاصلة، الفاصلة الداخلية).

وفي الخاتمة وردت نتائج البحث؛ من أهمها:

- مجيء الفاصلة القرآنية زاخرة بألفاظ العلم والجهل، وللعلم الغلبة.
- ورود أغلب الفواصل في إطار تأكيد سعة علم الله واطلاعه، والتنبيه والتحذير من مخالفة أمره، وبيان ما يترتب على ذلك من عقاب.
- ارتباط الوصف في قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في القرآن بالمشركين العرب؛ حيث اختصوا بهذا الوصف دون سواهم، فناسبهم ذلك لجهلهم وعدم معرفتهم، وقصور علمهم.

الكلمات المفتاحية (الدلالية): التعبير القرآني، فواصل الآي، العلم، الجهل.

ISSN : 2410-1818

The Eloquence of Quranic Expression in Study of Some Verses the Ends of Verses (A Descriptive Analytical on Knowledge and Ignorance)

Dr. Sumaya Taha Ali Abdullah Aljafari*

*Assistant Professor of Rhetoric and Criticism
University of Andalusia -Republic of Yemen

Abstract

The Qur'anic pause has a special resonance and high musical impact; it is unlike the rhyme in poetry, which is measured by meters and weights. Rather, it is free from any restriction, and its words are devoid of any complexity. It is dependent on meanings and connected to them within the Qur'anic context. Therefore, the Qur'anic pause did not come merely for a verbal purpose, which is the alignment of the ends of the verses with each other, but rather, it came for a meaningful purpose dictated by the context, necessitated by wisdom.

This research addresses the rhetoric of Qur'anic expression in some of the verses where the words knowledge and ignorance appear, in terms of: (the differences in the verse endings, the similarities in the verse endings, the changes in the end phrases, and the internal endings).

In conclusion, the research findings are as follows: - The occurrence of the Quranic pauses is rich with words of knowledge and ignorance, with knowledge prevailing. - The majority of the pauses emphasize the vast knowledge of God and His awareness, as well as the warning against disobeying His command, and clarifying the consequences that follow from that. - The description in the statement: "They do not know" in the Quran is specifically associated with the Arab polytheists; they are uniquely described as such due to their ignorance and lack of knowledge, and the limitations of their understanding.

Key (semantic) words: Quranic expression, pauses of verses, knowledge, ignorance.

ISSN : 2410-1818

تمهيد :

الفاصلة هي كلمة أواخر الآي؛ ككلمات السجع، وقافية الشعر، وهي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. وقد سُميت خواتم الآي فواصل لقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[2]. أو: لأنه ينفصل عندها الكلام؛ وذلك حيث يفصل بين الآية وما بعدها.

والفَصْلُ: "الحاجِزُ بين الشَّيْئَيْنِ، وكلُّ مُلْتَقَى عَظْمَيْنِ من الجَسَدِ كالمَفْصِلِ، والحَقُّ من القَوْلِ، ومن الجَسَدِ: مَوْضِعُ المِفْصِلِ، وبين كُلِّ مَفْصِلَيْنِ وَصْلٌ. والفاصِلَةُ: الخَرَزَةُ تَفْصِلُ بين الخَرَزَتَيْنِ في النِّظامِ. وقد فَصَلَ النَّظْمَ. وأواخِرُ آياتِ التَّنْزيلِ فَواصِلُ بمنْزِلَةِ قَوافي الشِّعْرِ الواحدةُ فاصِلَةٌ"[3].

وعرّفها الرماني بأنها: "حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"[4]. وزاد الباقلاني بلاغتها، فقال: "حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة"[5].

ولا يستحسن أن نسمي الفواصل بالأسجاع تأدبًا وتنزيهًا للقرآن في مشاركة غيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم. كما لا يجوز تسميتها بالقوافي؛ لأنه مصطلح خاص بالشعر، فلما أُبعد عن القرآن اسم الشعر وجب إبعاد لفظ القافية عنه، كذلك لا تسمى أواخر أبيات الشعر فاصلة؛ لأن هذا اللفظ خاص بالقرآن الكريم.

---

[1]) هود، 1.ض

[2]) فصلت، 3.

[3]) القاموس المحيط،، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط8، 2005م. مادة (فصل)، 1348.

وينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(711هـ)، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، د.ت. مادة (فصل)، ج11، ص521.

[4]) (النكت) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق: محمد خلف الله أحمد– محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط1، د.ت. ص89.

[5]) إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة– مصر، د.ط، 1963م. ص270.

ISSN : 2410-1818

وقد يقع في القرآن ما يشبه الإيطاء في الشعر - بتكرار الفاصلة- وهو ليس بقبيح فيه، إنما يقبح في الشعر، كقوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿**كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[6]، ثم قال في آيتين بعدها: ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[7]، ثلاث فواصل متوالية يعلمون، يعلمون، يعلمون، وهذا لا يقبح في القرآن أبدًا.

فالفاصلة القرآنية: هي كلمة أواخر الآي في كتاب الله - عز وجل- تختم بها الآية من القرآن، وهي فواصل بمنزلة قوافي الشعر، ومفردها فاصلة، بها يفهم المعنى دلالة وبلاغة.

والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم، وفي الأخبار التي رويت عن الأعراب الفصحاء، الذين فطنوا بسليقتهم إلى غلط بعض القارئين. حكى الأصمعي فقال: "كنت أقرأ: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ ..**﴾[8] ﴿**غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾، وبجنبي أعرابي، فقال: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله. قال: أعد، فأعدت. فقال: هذا ليس كلام الله. فانتبهت، فقرأت: ﴿**وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. فقال: أصبت هذا كلام الله. فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقلت: من أين علمت؟ فقال: يا هذا، عَزَّ فحكم فقطع، ولو غفر فرحم لما قطع".[9]

قال السيوطي: "قال الجاحظ: سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل: سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية"[10].

وفي هذا دلالة على استقرار مصطلح (الفاصلة) في دلالته على آخر الآية. وكذا التنبيه إلى تميّز مصطلحات القرآن عن غيرها.

ولا يراعي القرآن الكريم الفاصلة، بل قد تأتي مغايرة عن غيرها، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى كما ورد في سورة الانشقاق: ﴿**إنه ظن أن لن يحور**﴾[11]، فلو

---

[6]) البقرة، 101.

[7]) البقرة، 102- 103.

[8]) المائدة، 38.

[9]) الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط2، 2000م. ص30.

[10]) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط4، 1978م. ج1، ص141.

[11]) الانشقاق، 14.

ISSN : 2410-1818

قال(يحورا) لتغير المعنى. وقد تفرض الفاصلة نفسها فرضاً بيانياً قاطعاً دون النظر للملاءمة الصوتية، كما في فاصلة (المقابر) في سورة التكاثر، ولا يشترط فيها أن تكون دائماً تامة المعنى، فقد تكون متعلقة بما قبلها أو بما بعدها.[12]

وعندما نتحدث عن الإيقاع في القرآن الكريم فإننا نتحدث عن تناسق الحروف وجرسها وتلاؤمها، وصفاتها وأثرها في إنشاء التوقيع الصوتي في القرآن الكريم، إذ تتعاضد صفات الحرف مع صفات مجاورة من ناحية، ويقوم تباين المخرج من حرف لآخر بإظهار شخصية الحروف لتؤدي دورها الصوتي من ناحية أخرى، وهذا ما يتضح لنا في سائر السور القرآنية.[13]

ولا يقتصر الإعجاز في فاصلة دون أخرى من فواصل القرآن الكريم، بل كل فاصلة تظهر فيها الدقة والإحكام، ويظهر فيها وجه الإعجاز مشرقاً متألقاً. فالفاصلة القرآنية لها قيمة صوتية دلالية، ومراعاتها في القرآن الكريم واضحة، وقد أدى ذلك إلى التقديم أو التأخير أو الحذف لبعض الكلمات أو الجمل؛ وكان ذلك لأسباب أهمها: مراعاة المعنى أولًا، والتناغم الصوتي والإيقاعي ثانيًا، وذلك خلاف للسجع الذي يهتم بالمبنى أولًا.

وللوقف على الفواصل أكثر من فائدة منها: استراحة القارئ، وتدبره لما يقرأ، وإفهام السامع، ثم الإيقاع والموسيقى. وقد جاءت الآثار والأخبار معظمة لشأن الوقف، ومن ذلك ما يفهم من قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[14]. وإذا كان في ذلك إرشاد لرسول الله ﷺ للطريقة التي يقرأ بها القرآن، وهي الإنصات إلى تلاوة الوحي والتأني في التلقي عنه، فذلك إرشاد عام يلزم المؤمنين الذين يتلون القرآن؛ بأن يتريثوا في قراءته؛ لكي يتدبروا معانيه، ويفهموا أحكامه. وقد تكرر هذا الأمر في سورة القيامة في قوله تعالى: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[15].

---

[12]) ينظر: التكرار في الفاصلة القرآنية (الجزء الأخير من القرآن الكريم نموذجًا) دراسة أسلوبية، د. فيصل حسين طحيمر غوادرة، جامعة القدس المفتوحة، منطقة جنين التعليمية، مركز جنين الدراسي، جنين- فلسطين، ص1- 30. ص10.

[13]) المرجع السابق، ص10.

[14]) طه، 113- 114.

[15]) القيامة، 16- 19.

ISSN : 2410-1818

- **الاختلاف في فواصل الآي:**

في القرآن الكريم آيات وتعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى، ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة، كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة. وهذا التشابه والاختلاف أمر مقصود في كل جانب من جوانبه، وهو أمر قائم على أعلى مراتب الفن والبلاغة والإعجاز. والمتأمل في ذلك يزداد إعجابًا وانبهارًا بهذا التعبير البلاغي المعجز، وتنكشف له دلالات عميقة لم تكن ظاهرة من قبل، وكلما ازداد قراءة وتعمقًا، ظهرت له صور أبلغ وأعمق وأقوى.

ونجد ذلك كثيرًا في الفواصل القرآنية، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿**إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً**﴾[16].

وقوله سبحانه: ﴿**إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[17].

فقد قال في آية النساء: (إِن تُبْدُواْ خَيْراً)، وفي الأحزاب: (إِن تُبْدُوا شَيْئاً)،؛ وذلك أن آية النساء وردت بعد قوله تعالى: ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً**﴾[18]، فذكر أن الله لا يحب الجهر بالسوء، ولذا قال بعدها: (إِن تُبْدُواْ خَيْراً) أي: إن تظهروا خيرًا، وهو عكس الجهر بالسوء، فالله سبحانه لا يحب السوء ولا الجهر به، بخلاف الجهر بالخير.

وأما في آية الأحزاب فالسياق يتعلق بعلم الله بالأشياء الخافية والظاهرة، فقد قال قبلها: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً**﴾[19]، أي: ما تخفيه قلوبكم، وقال: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً**﴾[20]، وختم الآية بقوله: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[21]، لما ظهر أو خفي. **والمراد:** أن السر والجهر عند الله سبحانه وتعالى سواء، فلا فرق بينهما عنده، فناسب أن يقول: (إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ)

---

[16]) النساء، 149.

[17]) الأحزاب، 54.

[18]) النساء، 148.

[19]) الأحزاب، 51.

[20]) الأحزاب، 52.

[21]) الأحزاب، 54.

ISSN : 2410-1818

لا أن يقول: (إِن تُبْدُواْ خَيْراً)، هذا إضافة إلى مناسبة كلمة شيء الواقعة قبلها وبعدها، فوضعت كل كلمة في سياقها المناسب لها.

كذلك ناسب التعبير في سورة النساء وجود كلمة (خَيْر)، حيث ذكرت كلمة (خَيْر) في هذه السورة اثنتي عشرة مرة، بخلاف سورة الأحزاب؛ فقد وردت فيها كلمة (خَيْر) ست مرات فقط، فناسب ذلك الورود المعنى والسياق واللفظ.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[22].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[23].

فقد قال في الآية الأولى: (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)، وقال في الثانية: (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً). وذلك أن الكلام الأول متصل بإنزال السكينة وازدياد المؤمنين إيمانًا، فقد قال سبحانه قبلها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ....﴾[24]. فهذا موضع في سياق العلم والحكمة فقال: (عَلِيماً حَكِيماً).

وأما الآية الثانية فهي في موضع عذاب وعقوبة، فقد جاءت بعد قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾[25]. فهذا الموضع في سياق بيان قدرة الله وعزته وغلبته وعظيم حكمه، فناسب ذلك قوله: (عَزِيزاً حَكِيماً).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[26].

وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[27].

---

[22]) الفتح، 4.

[23]) الفتح، 7.

[24]) الفتح، 4.

[25]) الفتح، 6- 7.

[26]) الأعراف، 200.

[27]) فصلت، 36.

ISSN : 2410-1818

في حين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[28].

فجاء -سبحانه- بالاستعاذة من الشيطان الذي نعلم عنه ولا نراه بقوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، وجاء فيمن يرى ويبصر من شياطين الإنس بقوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، وفي ذلك دقة في التعبير، وجمال في الوصف.

جاء في التفسير القيم: "وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ (السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) في الأعراف والسجدة، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ (السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) في سورة حم المؤمن...؛ لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر. وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم. فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية. والله أعلم".[29]

وفي ورود الصفتين منكرتين في الأعراف: (إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، ومعرفتين وزيادة ضمير الفصل قبلهما في فصلت: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)؛ فآية فصلت سبقت بالحث على حسن القول، والدعوة إلى الله، وعمل الخير، والصبر على الشدائد، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[30]. وفي ذلك أمر بأشق الأشياء على النفس، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يلقى هذا الأجر والمثوبة إلا ذو حظ عظيم، فجاء التعريف للصفتين للتأكيد وتقوية الحكم، وفي زيادة ضمير الفصل تأكيد واختصاص وتقوية للحكم.

والحكم هنا "حكم كِنائي؛ لأن المقصود لازمُ وصف السميع العليم، وهو مؤاخذة من تصدر منهم أقوال وأعمال في أذى النبي صلى الله عليه وسلم، والكيدِ له ممن أُمِر بأن يدفع سيئاتهم بالتي هي أحسن. والمعنى: فإن سوّل لك الشيطان أن لا تعامل أعداءك بالحسنة وزين لك الانتقام، وقال لك: كيف تحسن إلى أعداء الدين، وفي الانتقام منهم قطعُ كيدهم للدين، فلا تأخذ بنزغه، وخذ بما

---

[28]) غافر، 56.

[29]) التفسير القيم لابن القيم: جمع: محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية، د.ط، 1973م. ص586.

[30]) فصلت، 33- 35.

ISSN : 2410-1818

أمرناك، واستعذ بالله من أن يزلّك الشيطان، فإن الله لا يخفى عليه أمر أعدائك، وهو يتولى جزاءهم"[31].

أما في الأعراف فقد تقدم قبل هذه الآية وصف آلهتهم، وضعفها، ووصف من أشرك مع الله إلها آخر بعمى البصر والبصيرة، وأمروا بعد ذلك بالعفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين؛ فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[32]. فترك التعريف هنا والتأكيد بضمير الفصل لاستغناء المقام عن ذلك؛ لأن الإعراض سهل على النفوس، بخلاف مقابلة الإساءة بالإحسان كما في فصلت، فناسب ذلك تنكير الصفتين.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[33].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[34].

فقدم -سبحانه- الحكمة على العلم في سورة الأنعام، وقدم العلم على الحكمة في سورة يوسف؛ وذلك لأن الآية في سورة يوسف جاءت في سياق العلم؛ حيث تقدم قوله: (وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ). وفي الأنعام جاء السياق في التشريع فقدم الحكم لذلك.

يقول الزركشي: "وأما تقديم الحكيم على العليم في سورة الأنعام فلأنه مقام تشريع الأحكام، وأما في أول سورة يوسف فقدم العليم على الحكيم لقوله في آخرها: (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)".[35]

---

[31]) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة التونسية، تونس، د.ط، 1997م. ج24، ص230.

[32]) الأعراف، 197- 199.

[33]) الأنعام، 139.

[34]) يوسف، 6.

[35]) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1957م. ج3، ص262.

ISSN : 2410-1818

وقد ورد ذكر (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) في سورة يوسف في ثلاثة مواطن[36] مقدمًا العلم على الحكمة؛ لأن مواطن يوسف كلها مواطن علم. وفي الأنعام[37] جاءت (حِكِيمٌ عَلِيمٌ) في ثلاثة مواطن أيضًا، حيث قدم الحكمة على العلم، وجميع هذه المواطن جاءت مواطن حكمة وحكم. وهذا يدل على أن كل كلمة وضعت قصدًا في الموضع الذي جاءت فيه. فسبحان الحكيم القدير.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[38].

وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[39].

فقد قال في الأولى: (عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، وفي الثانية: (غَفُورٌ رَّحِيمٌ).؛ مع استواء الآيتين في إعلامه تعالى نبيه والمؤمنين أنه يتوب على من يشاء؛ ووجه ذلك - والله أعلم- أن الآية الأولى أعقب بها ما تقدمها متصلًا بها من الآي في كفار مكة وفعلهم مع رسول الله ﷺ في التضييق والإخراج، فأمر تعالى بقتالهم ووعد بتعذيبهم وخزيهم والنصر عليهم وشفاء صدور من آمن. قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[40].

ثم قال: (وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ)..، أي: من أسلم منهم بعد ما صدر من اجتهاده في الأذية والصد عن سبيل الله، ثم قال: (وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، أي: "بما في القتال أو طيّ ما جرى من ذلك كله بتقديره السابق أولًا.. وما في ذلك من الحكمة. وأما الآية الثانية فجاءت بعد الحديث عما جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم، فلم تغن عنهم شيئًا، ولم يثبت مع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم إلا القليل، إذ لم يبرح عليه السلام من مكانه. فختمت هذه الآية بقوله: (وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)؛ تأنيسًا لمن فرّ من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم رحمة من الله، فجاء كلٌّ من هذا الباب على ما يناسب ولا يلائم خلافه".[41]

---

[36]) وذلك في الآيات: 6، 83، 100.

[37]) وذلك في الآيات: 83، 128، 139.

[38]) التوبة، 15.

[39]) التوبة، 27.

[40]) التوبة، 14.

[41]) ينظر: ملاك التأويل (القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل): أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (708هـ)، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2006م. ص226.

ISSN : 2410-1818

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ۝ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ۝ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[42].

حيث ختم الأولى بالسمع والعلم؛ لما قال قبل: (فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ)، وختم الآية الثانية بالمغفرة والرحمة؛ لما قال قبلها: (فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ). وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[43]. فقد ختم الآية بقوله: (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لما قال قبلها: (فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ)، وفي ذلك تطابق في اللفظ والمعنى.

ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[44].

وقوله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[45].

حيث جاء في الأعراف: (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)، وفي النمل: (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)، والوصف بالجهل فيه زيادة تقريع؛ لأن نسبة الإنسان إلى الإسراف أهون من نسبته إلى الجهل. لذلك جاء ردهم في الأعراف بالواو، فقال: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ)، وجاء في آية النمل بالفاء، فقال: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ)، مما يدل على أن الجواب كان أسرع منه في آية النمل، فلم يتريثوا في الرد؛ لأنه أغاظهم في الكلام أكثر مما في الأعراف فجاء بالفاء. وما دلَّ على شدة غيظهم ذكر اسمه صراحة في النمل: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ)، بخلاف ما في الأعراف فقد جاؤوا بالضمير (أَخْرِجُوهُم). ولا تناقض بين القولين والقصة واحدة، فالواو لا تناقض الفاء، فذكر معنى الترتيب والتعقيب في النمل؛ لأن الموطن

---

[42]) البقرة، 180- 182.

[43]) البقرة، 173.

[44]) الأعراف، 80- 82.

[45]) النمل، 54- 56.

ISSN : 2410-1818

يقتضيه، وأطلق ذلك في الأعراف؛ لأن الموطن لا يقتضي التعقيب. وهذا من أعجب الكلام وأدقه. ويمكن أن يقال أيضًا بأن النصيحة تكررت من لوط في أزمنة مختلفة وبأساليب مختلفة.[46]

وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[47].

جاءت (كَلاَّ) للردع والتنبيه، على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه، فيلهو بها وينسى دينه. وفي: (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إنذار؛ ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم. وفي التكرير: تأكيد للردع والإنذار عليهم.

ودلت (ثم) على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله.[48]

وقد أكد ذلك الزركشي بقوله: "واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد؛ فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز، فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى: (كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إن الثانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء، فقال: وفي (ثُمَّ) تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول"[49].

وفي قوله سبحانه في الآية التالية: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ جاء التكرار للوعيد والتهديد، وحذف جواب (لو) للتهويل والتفخيم، وتقديره: لرأيتم ما تشيب له الرؤوس، وتفزع له النفوس من الشدائد والأهوال؛ لأنه إذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب.

---

[46]) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان– الأردن، ط4، 2006م. ص200– 201.

[47]) التكاثر، 3– 5.

[48]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت. ج4، ص797.

[49]) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، مرجع سابق، ج3، ص11.

ISSN : 2410-1818

- **التشابه في فواصل الآي:**

تتشابه الفواصل القرآنية في مواضع عدة مع اختلاف بسيط في آياتها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[50]. وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[51].

فقال في آية الروم: (أَوَلَمْ يَرَوْا)، وفي آية الزمر: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا) وذلك أن ألفاظ الرؤية والنظر في سورة الروم أكثر مما في سورة الزمر، وألفاظ العلم في الزمر أكثر مما في الروم. فقد وردت ألفاظ الرؤية والنظر في الروم سبع مرات، وفي الزمر ست مرات. ووردت ألفاظ العلم في الزمر إحدى عشرة مرة، وفي الروم عشر مرات. فاستحقت الروم لفظ الرؤية والزمر لفظ العلم.

فبسط الرزق مِمَّا يشاهَد ويرى، فجاءَ في هذه السّورة على ما يقتضيه اللَّفظ والمعنى. وفى الزمر اتَّصل بقوله: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[52]. بذكر العلم قبلها؛ في قوله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ)، وبعدها: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)؛ فحسُن (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا).

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[53].

وقوله: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[54].

فقد جاء في سورة يوسف: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) والحديث فيها عن نبي الله يوسف، وفي القصص: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) والحديث فيها عن نبي الله موسى؛ وذلك بزيادة (وَاسْتَوَى) في القصص.

---

[50]) الروم، 37.

[51]) الزمر، 52.

[52]) الزمر، 49.

[53]) يوسف، 22.

[54]) القصص، 14.

ISSN : 2410-1818

وبلوغ الأشد "اكتمال القوى الجسمية. والاستواء اكتمال النضوج العضوي والعقلي"(سمسم). (حُكْمًا): حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه. وقيل: حكما بين الناس وفقها. (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأنّ اللّه آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه. (وَاسْتَوَى) واعتدل وتمّ استحكامه، وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه، حيث صار إلى الحد الذي لا يزاد الإنسان بعده غريزة من الغرائز لم تكن فيه أيام الشباب، بل لا يبقى بعد ذلك إلا الوقوف ثم النقصان" وذلك أربعون سنة.

فقال تعالى في يوسف: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ) ولذا لم يقل هنا (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ) كما قال في قصة موسى؛ لأن موسى أوحي إليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة، وأوحي إلى يوسف عند أوله وهو ثمان عشرة سنة.

وفي قوله تعالى: (عِلْماً) المراد من الحكم الحكمة العملية ومن العلم الحكمة النظرية؛ وذلك لأن أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولاً إلى الحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية ، وأما أصحاب الأفكار والأنظار العقلية فإنهم يصلون أولاً إلى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية، وطريقة يوسف عليه السلام هي الأولى؛ لأنه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح اللّه له أبواب المكاشفات، ففي قوله: (حكماً وعلماً) إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية.[56]

[55]) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط32، 2003م. ج1- 4، ص2681.

[56]) ينظر: مفاتيح الغيب (تفسير الإمام الفخر الرازي)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2000م. ج18، ص90.

وينظر: تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت. ج4، ص230.

ISSN : 2410-1818

- **التغير في الفاصلة:**

إن أول نموذج يلفت الانتباه في فواصل القرآن الكريم هو عدم اقتصارها على حروف الروي المتماثلة، أو ما يشبه وحدة القافية في الشعر، بل تجاوزتها إلى الحروف المتقاربة، ثم إلى الفواصل المنفردة. ومن ذلك قوله تعالى:

1. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
2. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ
3. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ
4. كَلَّا ، بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ
5. وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ
6. كِرَاماً كَاتِبِينَ
7. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ
8. إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
9. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ
10. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ
11. وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
12. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
13. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
14. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[57].

ففواصل الياء والنون أو الواو والنون تتماثل مع نفسها وتتقارب مع فواصل الياء والميم، وهي جميعًا تختلف عن فاصلتي الكاف (فَعَدَلَكَ) و(رَكَّبَكَ)، وإن انتظمت في الوقوف على السكون. أما الفاصلة الأخيرة (لِلَّهِ) فقد انفردت بحرف الروي (الهاء)، كما انفردت بنوع المد الذي سبق الهاء، وإن لم تخرج عن الوقف الساكن.

والفاصلة الأولى (الْكَرِيمِ) برغم اتساقها مع فواصل الياء والنون، أو الياء والميم، لم تأت مجاورة لها في المكان مباشرة، مما يحدث الصدمة في الانتقال منها إلى الكاف (فَعَدَلَكَ)، لكن غالبًا

[57]) الانفطار، 6- 19.

ISSN : 2410-1818

ما يكون لخيبة التوقعات أهمية أكبر من تحققها؛ والنظم الذي لا نجد فيه غير ما نتوقعه بالضبط دائمًا بدلًا من أن نجد فيه ما يطوّر استجابتنا الكلية هو نظم رتيب. ويمتد تأثير هذه الكلمات من القرآن الكريم إلى مسافة أطول بكثير مما في النصوص الأخرى. ففاصلة (الْكَرِيمِ) مهدت للصدمة الأولى، حتى إذا جاءت فواصل (الدِّينِ) (حَافِظِينَ) (كَاتِبِينَ)...، استثمرت هذه المفاجأة خير استثمار. وما كدنا ننسى الصدمة الأولى حتى فوجئنا بصدمة الفاصلة الأخيرة (لِلَّهِ)، تلك الفاصلة التي تركز الانتباه بانفرادها أولًا، وتميزها ثانيًا، وانتهاء النص عندها ثالثًا، لنكتة بلاغية دينية ترمي إلى رد الأمر كله إلى الله تعالى، الذي جاءت الفاصلة متضمنة اسمه عز وجل، في الوقت الذي كان النص بمجموعه ومضمونه يمهد لهذه الخاتمة الشامخة باستقرار القرار على السكون بعد ألف المد.[58]

ونجد أغلب سور القرآن -لا سيما الطوال منها- تأتي فيها الفواصل متغيرة، أما السور التي وحّدت الفاصلة فيها فهي إحدى عشرة سورة من قصار السور، وهي: (القمر، الكوثر، القدر، العصر، المنافقون، الأعلى، الليل، الشمس، الفيل، الإخلاص، الناس). ونموذج التغير في روي الفواصل قسمان: قسم يغير مقطعًا مقطعًا، وقسم يغير بغير مقاطع، وفي هذه الآيات من سورة الانفطار توافر فيه القسمان.

وقد اتسع مجال تغير حرف الروي في الفواصل، حتى تناول حروف الأبجدية العربية أو معظمها، على تفاوت بينها في النسبة؛ فحرف النون فاصلة القرآن الأثيرة، حيث بلغ ما جاء عليها ساكنة بعد واو أو ياء (3050) فاصلة، منها (1758) فاصلة على الواو والنون، و(1291) فاصلة على الياء والنون، بينما لم ترد حروف كالغين إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾[59]. أما الحرف الذي لم يرد في الفواصل فهو الخاء. ولم ترد الفواصل المنفردة في أواخر السور وحسب، بل وردت في ثنايا السياق أو في البداية، منها قوله تعالى في أوائل سورة النصر: ﴿**إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾[60]، ومما جاء في ثنايا السياق، قوله تعالى: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ**﴾[61]، وقوله تعالى في النازعات: ﴿**مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾[62]، ومثلها في سورة عبس:

---

[58]) ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، مرجع سابق، ص208.

[59]) النساء، 63.

[60]) النصر، 1.

[61]) الرحمن، 17.

[62]) النازعات، 33.

ISSN : 2410-1818

﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[63]، وقوله في السورة نفسها: ﴿فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ﴾[64]، وذلك مباشرة بعد الفاصلة المنفردة. والملاحظ أن معظم هذه الفواصل المنفردة قد سوغت انفرادها البنية الداخلية للقرينة التي جاءت فيه. ففي سورة الرحمن ارتكزت الفاصلة (الْمَغْرِبَيْنِ) على فاصلتها الداخلية (الْمَشْرِقَيْنِ)، كما كان للتقسيم والتقابل دور آخر، فضلًا عن أن السياق على حرف النون كذلك، وإن كانت نونًا مسبوقة بالألف الممدودة: ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[65]. أما قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ)؛ فإن لها شأنًا آخر، فعلى الرغم من ورود فواصل بعدها على الهاء أو التاء المربوطة الساكنة؛ لأن حرف الخاء المضعف أوضح في السمع والحس من الهاء. وهذا قصد فني رفيع، يهدف إلى تعظيم القيامة في النفس والحس عن طريق الصدمة القوية والمفاجأة المتعمدة.[66]

- **الفاصلة الداخلية:**

وتأتي هذه الفاصلة في ثنايا الآية الواحدة، وهي فاصلة فرعية داخلية، وهي كالفواصل الأصلية في تماثلها وتقاربها أو تباعدها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[67]. حيث جاءت في الآية فاصلتان الأولى في قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، والثانية في قوله: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً).

وللفواصل الداخلية المتماثلة شواهد كثيرة تكاد تغلب على نهاية كلماتها الواو والنون؛ وذلك نتيجة انتشار هذه التقفية الواسعة في الفواصل الأصلية، كقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[68]، ومن هذا القسم ما يتفرع داخليًّا إلى فرع آخر كقوله سبحانه: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[69]، حيث نجد الفواصل الداخلية في قوله: (يُسِرُّونَ)، و(يُعْلِنُونَ)، و(الْمُسْتَكْبِرِينَ). وأما الفواصل المتقاربة من هذا النوع فأقل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ

---

[63]) عبس، 32.

[64]) عبس، 33.

[65]) الرحمن، 13.

[66]) ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، مرجع سابق، ص211.

[67]) الطلاق، 12.

[68]) الروم، 17.

[69]) النحل، 23.

ISSN : 2410-1818

﴿لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[70]. ومنها ما يتفرع إلى فرع آخر كالقسم السابق. ومن الفواصل المتباعدة -وهي أقل من القسمين الآخرين- قوله تعالى: ﴿اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[71]. ومن الجدير بالذكر أن الفاصلة الداخلية ظاهرة من ظواهر القرائن والفقرات الطويلة؛ لأنها تقوم مقام المرتكزات والمحطات النفسية معنًى وموسيقى.[72]

[70]) الزخرف، 61.

[71]) المائدة، 98.

[72]) ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، مرجع سابق، ص158- 159.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

قامت الباحثة بدراسة بلاغة التعبير القرآني في فواصل الآي التي وردت فيها لفظتا العلم والجهل؛ ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الباحثة ما يأتي:

- مجيء الفاصلة القرآنية زاخرة بألفاظ العلم والجهل، وللعلم الغلبة.

- ورود أغلب الفواصل في إطار تأكيد سعة علم الله واطلاعه، والتنبيه والتحذير من مخالفة أمره، وبيان ما يترتب على ذلك من عقاب.

- ارتباط الوصف في قوله: ﴿**لَا يَعْلَمُونَ**﴾ في القرآن بالمشركين العرب؛ حيث اختصوا بهذا الوصف دون سواهم، فناسبهم ذلك لجهلهم وعدم معرفتهم، وقصور علمهم.

- التفاوت في معاني المفردات للعلم والجهل وإن ظهرت أنها مترادفة، أو لها نفس المعنى؛ فلكل لفظ في موضعه فروق دلالية أظهرها السياق، فاللفظ لا يستخدمه القرآن من حيث هو لفظ، بل من حيث دلالته على المعنى، وكل اختلاف في اللفظ يصحبه اختلاف في المعنى وفي التأثير النفسي.

- مجيء الفواصل متغيرة في أغلب سور القرآن - لا سيما الطوال منها- ولم تتوحد الفواصل في السورة كاملة إلا في إحدى عشرة سورة من قصار السور؛ وهي: (القمر، الكوثر، القدر، العصر، المنافقون، الأعلى، الليل، الشمس، الفيل، الإخلاص، الناس).

- اتساع مجال تغير حرف الروي في الفواصل، حتى تناول حروف الأبجدية العربية أو معظمها، على تفاوت بينها في النسبة؛ فحرف النون فاصلة القرآن الأثيرة، بينما لم ترد حروف كالغين إلا مرة واحدة، أما الحرف الذي لم يرد في الفواصل فهو الخاء.

- كثرة ورود الفواصل الداخلية المتماثلة، وتكاد تغلب على نهاية كلماتها الواو والنون؛ وذلك نتيجة انتشار هذه التقفية الواسعة في الفواصل الأصلية.

- تعد الفاصلة الداخلية ظاهرة من ظواهر القرائن والفقرات الطويلة؛ لأنها تقوم مقام المرتكزات والمحطات النفسية معنًى وموسيقى.

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط4، 1978م.
- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة- مصر، د. ط، 1963م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1957م.
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان- الأردن، ط4، 2006م.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة التونسية، تونس، د. ط، 1997م.
- تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ط، د.ت.
- التفسير القيم لابن القيم: جمع: محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية، د. ط، 1973م.
- التكرار في الفاصلة القرآنية (الجزء الأخير من القرآن الكريم نموذجًا) دراسة أسلوبية: د. فيصل حسين طحيمر غوادرة، جامعة القدس المفتوحة، منطقة جنين التعليمية، مركز جنين الدراسي، جنين- فلسطين.
- الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط2، 2000م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط32، 2003م.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط8، 2005م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د. ط، د.ت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(711هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، د.ت.
- مفاتيح الغيب (تفسير الإمام الفخر الرازي)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2000م.

ISSN : 2410-1818

- ملاك التأويل (القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل): أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (708هـ)، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2006م.

- (النكت) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق: محمد خلف الله أحمد- محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط1، د. ت.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN :2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2020	2021	2022	2023	2024
معامل أرسيف	0.0366	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068
معامل التأثير العربي	1.60	1.60	1.73	1.25	1.55